الشجعان الثلاثة



قصص «من طفل إلى طفل» - ٣

الشجعان الثلاثة

قصة ٣ أطفال معوقين وأصدقاؤهم الذين يتساعدون على التعلّم واللعب



ترجمة: شارل شهوان
مراجعة: جويس خوري مروّة وعبده وازن
رسوم: عدنان الشريف
عن نص من إعداد: أنيس والجي. تحرير أنيس والجي وكوليت هُوزْ.
فريق المشروع: كن كريبول كوليت هوز، هُيو هُوز، ديفيد مورْلي، فيوليت موجيسا، أنيس والجي، جون وِبْ.

«من طفل - إلى - طفل» برنامج عالمي أطلقه معهد صحة الطفل في جامعة لندن. وهو يقوم على مساعدة الأطفال والناشئة على أن يتعلموا الاهتمام بصحة وخير الآخرين في مجتمعهم وتحسين حياتهم. ويشمل هذا الاهتمام: الأخوة والأخوات والأطفال الآخرين في المدرسة والأقران، واهالي الحي او القرية عموماً. تبنى كل قصة من هذه القصص على مفهوم مساعدة الأطفال بعضهم بعضاً.

كلمة إلى الأهل والمربّين والمساعدين الصحيين

هذا الكتاب يتناول الأطفال والمواقف. وهو أيضاً عن الأطفال المعوقين جسديًا وحسيًا الذين كثيرا ما تكون معاناتهم من مواقف الآخرين تجاههم أكثر من معاناتهم من الإعاقة ذاتها.

الغرض من قصص هذا الكتاب مساعدة الأطفال على أن يكتشفوا أن جميع الأطفال - المعوقين وغير المعوقين - لديهم قدرات عقلية ونفسية وجسدية ولو اختلفت. وفي تشجيعهم على احترام الاختلاف عند بعضهم بعضًا، وعلى الدمج وعلى تقدير السلوك الإيجابي ورفض السلوك السلبي.

- **الشجعان الثلاثة**
- الطبعة العربية الثانية، ٢٠٠٠ (الطبعة الأولى، ١٩٩١)

- تصدر هذه الطبعة عن

- **ورشة الموارد العربية**، نيقوسيا - قبرص

ARC, Arab Resource Collective Ltd. P.O. Box 27380, Nicosia 1644 - Cyprus.
Tel (+3572) 766741, Fax 766790, E-mail: arccyp@mawared.org Website: www.mawared.org

في لبنان: ورشة الموارد العربية، ص.ب. ١٣-٥٩١٦ بيروت - لبنان

الهاتف: ٧٤٣٠٧٥ (٩٦١١+)، الفاكس: ٧٤٢٠٧٧، البريد الالكتروني: arcleb@mawared.org

- **بيسان للنشر والتوزيع**، ص.ب. ١٣-٥٢٦٦، بيروت - لبنان، الفاكس: ٧٤٧٠٨٨/٩

تصدر هذه الطبعة بدعم مشكور من الخدمات الجامعية الدولية (WUS)

- تمّ إعداد هذا الكتاب بموجب الاتفاق المعقود مع برنامج «من طفل إلى طفل» في «معهد صحة الطفل»، جامعة لندن. وذلك عن النص الأصلي الصادر عام ١٩٨٩، بعنوان

(*I Can Do It Too*, By Anise Walzer (editors Anise Waljee and Collete Hawes)

* Al-Shuja'an Al-Thalatha (The Three Brave Ones) is an Arabic edition of "*I can do it too*" - a Child-to-Child Reader. Second edition, 2000. Funded by WUS, World University Services, UK.

«ورشة الموارد العربية» مؤسسة عربية مستقلة ذات منفعة عامّة، لا تتوخى الربح التجاري. هدفها إعداد ونشر وتوزيع الكتب والمواد التعليمية والتثقيفية اللازمة في مشاريع الرعاية الصحية والتربية وتنمية المجتمع في البلدان العربية. تأسست «الورشة» في قبرص، ١٩٨٨، على يد مجموعة من العاملات والعاملين في حقول الرعاية الصحية الأوّلية، وتنمية المجتمع، والتربية، والنشر.

الراوي

اسْمعوا يا أولاد. أريدُ أن أروي لكم حكاية. بل سأروي لكم ثلاثَ حكايات.

إنّها حكايات عن أولاد مثلكم، يعيشون في قُرىً مثل قريتكم، يذهبون إلى المدرسة، يلعبون، يتّعاركون، يَعملون ويتعلّمون. مثلكم تماماً.

ولكنْ هناك شيءٌ مشترك في هذه الحكايات.

اسْمَعوا حكايتي الأولى.



إسمعوا صوت الطَّبلة. يكونُ الصوتُ أحياناً ناعماً كخفقات قلبٍ، وأحياناً يرتفع أكثرَ فأكثر فيصبح مثل دويِّ الرعد.
يرقص الناس على إيقاع الطَّبلة. أناسٌ كثيرون يأتون من كلِّ مكانٍ ليرقصوا على موسيقى الطَّبال. فالطبَّال في هذه القرية مشهورٌ. لا أحد يستطيع أن يعزِف على الطَّبلة مثله. يداه تتقافزان فوق الطَّبلة والنَّاس يرقُصون.
مَن تُراه يكون؟
انظروا، إنَّه ولد! كيف تعلَّم الضَّرب على الطَّبلة بهذه الطريقة؟
ما الذي يتمدد قربه؟ عُكَّازان؟
توقَّفت الموسيقى، ذهب الأولاد لتوزيع الطَّعام. أحضروا بعضه للطَّبال أيضاً. تعالوا نجلس قرب هذه الصَّبية ونطلب منها أن تخبرَنا عن الرَّقص وعن الطبَّال. اسمُها فاطمة، إنَّها تروي قصَّةَ شقيقها «علي».





شقيقي علي

الجميعُ في القرية يفرحون الليلة ويحتفلون بمناسبة خاصّة. ليست الحفلة زفافاً ولا عيداً. نحتفل لأنّ جميع الأطفال في القرية تلقّحوا ضدّ شلل الأطفال. أليس هذا رائعاً؟ لن يصاب بعد الآن أيٌّ من الأطفال بالشللِ مثل عليّ. التّلقيح كان فكرته، هو الذي بدأ المشروع كُلَّه.

مَن هو علي؟

إنّه شقيقي. إنّه الولد الذي يضرب على الطّبلة. كلُّنا فخورون به. عليٌّ لا يستسلم بسهولة بل يُقاوم. إنّه لا يحارب الناس بل يحارب بعض الأفكار الخاطئة عند الناس، أفكارًا من الماضي.

بعضُ النّاس كان يظن أنّ «المكفوفين والصّم والبكْم أشخاصٌ أغبياء»، وغيرهم يعتقد أن «لا فائدة من الأشخاص الذين يعانون نقصاً في أجسامهم»، ويقول آخرون: «لا تكترثوا بالمعوقين، فلا أهمّية لَهُم».

لا يحاربُ عليٌّ الأفكار وحيداً. كلُّ الأولاد في القرية يُساعدونه. جميعنا نحارب الأفكار البالية.
تقول المعلِّمة: «في وسع كلِّ واحدٍ أن يفعل شيئاً ما». وتضيف: «الأولادُ المكفوفون أو الصُّم أو أولئك الذين لديهم إعاقة حركيَّة أو جسديَّة يستطيعون القيام بأشياء كثيرةٍ إذا نحن ساعدناهم».
وتقول أيضاً: «كلُّ الأولاد مهمُّون، كلُّ الأولاد يستطيعون مُساعدة الأولاد الآخرين. عندما نساعدُ أولاداً آخرين فنحن نتعلَّمُ أيضاً شيئاً منهم».
إنَّها على حقٍّ. أنا أتعلَّم أشياء كثيرةً من علي. دعوني أخبركم عنها.
أُصيب علي بالشلل عندما كان في السابعة من عمره. حتَّى ذلك الوقت كان يركض ويضحكُ ويلعبُ مثل أيِّ ولدٍ آخر. ثُمَّ في إحدى الليالي أصابته حُمَّى. كانت حُمَّى شديدةً. في اليوم التالي لمْ يعُد يستطيع تحريك رجليه.
عندما أخذناه إلى المدينة قال الطَّبيب إنَّهُ مُصابٌ بشللِ الأطفال. مكث عليٌّ في الفراشِ وَقتاً طويلاً، وقد هزل كثيرًا. وفي النِّهاية بدأ يزحف لكنَّه لم يستطِع المشيَ. عندما بدأتُ أذهب إلى المدرسة لم يعد في مقدورهِ الذَّهابُ معي. كان يبكي عندما أخرُجُ من المنزل. كان يشعُر بالوحدة.


الوقاية
خير من العلاج

وعند عودتي إلى المنزل كُنت أُخبره بكُلّ ما يَحدث في المدرسة وأُعلّمه الأشياء التي كان عليّ أن أكتبها.

لم يكن في استطاعته أن يشاركنا في كُلّ ألعابنا في الخارج. فهو لا يركضُ أو يتسلّق أو يقفز. كانَ ينظُر إلينا. أحياناً كان يبدو سعيداً، لكنّه كان في الغالب حزيناً. كانَ يشعر أنّ حقّه منقوص. وفي بعض الأحيان كانَ يبكي. وكُنتُ أشعر بالأسى من أجله، لكنني لم أكن أعرف ما يمكن أن أفعل أكثر من ذلك.

ثمّ جاءتنا معلّمة جديدة أخبرتنا قصصاً. لم تكن القصصُ عاديّة، بل كانت قصصاً عن أولادٍ ساعدوا أولاداً آخرين. وكانت تُوضحُ كيف يستطيع الأولاد محاربة الحُمّى ومقاومة المرض.

أعجبتني القصص. قلتُ لمعلّمتنا: «أتمنّى لو يستطيعُ الأولادُ مساعدة الأولاد الآخرين مثل أخي علي. عليٌّ ليس مريضاً لكنّهُ لا يستطيعُ المشي. إنّهُ بحاجةٍ إلى المساعدة، لكن لا أعرف كيف أساعدهُ».

أخبرتُ المعلّمة كلّ شيءٍ عن عليّ. جاءت لتراهُ وأحضرت معها مُرشداً صحياً من القرية الأخرى.
سأل المُرشدُ الصّحيُّ: «لماذا لا يذهب عليّ إلى المدرسة؟».
قُلتُ له: «إنّهُ لا يستطيعُ المشي مسافات طويلة ولا يمكنُهُ أن يقطعها زحفاً».
قال المرشدُ الصّحيّ: «نحن نستطيع مساعدتَهُ. سنصنع له عُكّازين».



فرح عليٌّ فرحاً شديداً وصاح: «الآن أستطيع الذهاب إلى المدرسة» لكنّ الأمر لم يكن بهذه السهولة. كان استخدام العكّازين صعباً. فالطّريق إلى المدرسة وَعِرةٌ.

تعثّر عليٌّ مرّاتٍ عديدة. جرح ركبتيه ومرفقيه. لكنّه ظلّ يحاول ولم يستسلم.

كان شجاعاً.



في المدرسة لم تكن الأمور دائماً سهلةً. ضحك بعضُ الأولاد من عليّ. ضايقوه. كانوا يتأفّفون أحياناً عندما يعترضُ عكّازهُ طريقهم. وأحياناً كانوا يتجاهلونه. لكنّ الأمور بدأت تتغيّر. ساعدتنا المعلّمة على أن نتعلّم الأسباب التي تؤدّي إلى الأمراض المختلفة، ومنها شلل الأطفال.

صرنا نفكّر في طرق لمنع هذه الأمراض من أن تتكرّر.

كان عُكّازا عليّ يوضعان في زاويةٍ خاصّة عندما لم يكن يستعملهُما. صرنا نتذكّر عندما نسير معهُ أن نمشي على مهل. وأصبحنا ندعوه للمشاركة في الألعاب التي يستطيع أن يشاركنا فيها.



عليٌ كان مجتهداً. كان جيّداً في القراءة وفي التّهجئة والحساب. عندما كنّا نتعلّم الرّسم كانت رسومُه هي الأفضل. لكنه رغم ذلك كان أحياناً يبدو حزيناً، خصوصاً في الاحتفالات، إذ لم يكن قادراً على الرّقص مثل الآخرين تماماً.
خطرت لأحدِ الرّفاق فكرةٌ وقال: «إنّه بارعٌ بيديه ويحب الموسيقى».
هكذا تعلّم عليٌّ العزف على الطّبلة. انظروا كم هو بارعٌ الآن. لم يعد يشعُر أنّهُ معزولٌ. يستطيع المشاركة في الاحتفالات. لا يظل وحيداً. وصار يعلّم الآخرين العزف على الطّبلة.
آه! نسيت. كنتُ أخبركُم عن سبب الاحتفال. عليٌّ هو الذي بدأ المشروع كلّه.
في أحد الأيام رَجَعَ عليٌّ من المدرسة حزيناً. كانت المعلّمة أخبرتنا إحدى قصص «من طفل إلى طفل». كانت القصةُ عن طريقةٍ لمنعِ شللِ الأطفال وأمراضٍ أخرى يمكن الوقاية منها. كانت هذه الطّريقة تُدعى: «التّطعيم».
قال عليٌ: «يجب ألاّ يُصاب أيُّ طفلٍ بشلل الأطفال. يجب أن يتطعّموا. عندما كُنتُ صغيراً لمْ أتطعّم».
قُلتُ لعلي: «لديّ فكرة. تعال نخبرُ السّيدة كريمة عنِ التّطعيم إنّ مولودَها الجديد ما زال صغيراً».

قرّر الأطفال أن يساعدوا، وأن يخبروا الناس عن التّطعيم.
توزعنا إلى فرق تزور البيوت.
تكلّمنا مع السّيدة كريمة وقتاً طويلاً. أخبرها عليٌّ عمّا تعلّمه.
وافقت على أن تأخذ طفلها إلى المركزِ الصّحي في القرية الأخرى.
وحين عادت ذهبنا لرؤيتها.



كانت غاضبةً جداً. صرَخت حين رأتنا: «اسمَعا! هذه آخر مرّة أستمعُ فيها إليكما. أُنظرا إلى هذه الفوضى».
كانت الفوضى تعُمّ منزلها. فالماعزُ دخلت البيت وأكلت الطّعام، وكانت الأشياء مبعثرةً في كلّ مكان.



كانَ زوجُ السيّدة كريمة غاضباً، وأولادها الآخرون يبكون.
سألناها: «ماذا حدث؟»
قالت: «مشيتُ في الشمس الحارقة. أخذتُ معي كلّ أولادي مشيًا مسافةً طويلة. وحين وصلنا إلى المركز الصحّي كان هناك حشدٌ كبيرٌ من النّاس، كلّهم يريدون تطعيمَ أولادهم. وكان علينا أن ننتظر طويلاً حتى جاء دورُ طفلي. عُدتُ إلى البيت لأجد كلّ هذه الفوضى. ويريدونني أن أعود مرّةً أخرى بعد فترةٍ من الزمن!».
وأضافت: «لا تحدّثوني أبداً عن التّطعيم بعد اليوم. إنّهُ إضاعةٌ للوقت. أنا لم أتلقّح أبداً، وأولادي الآخرون لم يتطعّموا. كلُّنا بصحة جيّدة. لن آخذَ طفلي إلى هناك من جديد».
عُدنا أنا وعليّ إلى البيت. ما العمل؟ كان المركز في القرية الأخرى، ولم يكن هناك إلاّ مرشد «صحّي» واحد يُقيم في تلك القرية. غير أن التطعيمَ كان مهماً وضرورياً. كان في مقدورنا أن نُحدّث النّاسَ عنه، لكنّ الأولاد لا يستطيعون القيام بكُلّ شيء. لمْ يكن بوسعنا أن نفعل شيئاً بالنّسبة للمُرشد الصّحي. لمْ نكن قادرين على إقناع السيّدة كريمة بأن تأخذ طفلها مرّة أخرى إلى المركز.

لمْ يستسلم علي. قال لي: «إنّهُ أمرٌ مهم. يجب ألا يصابَ أحدٌ بشلل الأطفال».

تكلّمنا مع معلّمتنا. قال لها عليّ: «تقولين إنّ على الأطفال أن يساعدوا الأطفالَ الآخرين. لكنْ ماذا عن الكبار؟ ينبغي على الجميع أن يساعدوا».

أجابت المعلّمة: «أنت على حق. تعالوا نفكّر في الحلّ».

بعد يومين كنا نحن والمعلّمة ندعو الأهالي إلى اجتماعٍ في المدرسة. طلبنا من علي أن يشارك فيه. كان الأمر مثيراً جداً جداً. لم يحضر أيُّ طفلٍ من قبل اجتماعًا عامًا لأنّهُ لم يكن يحق للأطفال أن يعبِّروا عن رأيهم أمام الكبار. كان عليّ محظوظاً. لكنّهُ كان خائفاً قليلاً، ومع هذا ذهب.



حين عاد كانت عيناه تلمعان. أخبرنا قائلاً: طلبوا منّي أن أحكي لهم عن شللِ الأطفال. حدّثتُهم عمّا تعلّمناه. شرحتُ لهم أنّ الشللَ يخلقُ وضعاً صعباً. وقلتُ أيضاً: «يجب الاّ يصاب أحد بشلل الأطفال لأنّنا نستطيع أن نمنعه».

«قرّروا أن يُحضروا المرشد الصّحي إلى القرية لتلقيح جميع الأطفال. سوف يحضره السّيد أحمد على درّاجته النّارية. وفي المرّة التّالية، حين يرغب أحد بزيارة المركز الصّحي، سوف يهتمّ جيرانُهُ بمنزِلهِ وبإعداد الطّعام ورعاية أولاده».



كانَ علي سعيداً. قال: «أترون؛ يستطيعُ الأطفالُ حقّاً المساعدة».

لقد تلقّح الآن كلُّ الأطفال، ولهذا نحتفل.
لكن أتعرفون لماذا أرقُصُ أنا؟ إنّني أرقُصُ لعلي. فأنا فخورةٌ به. أنا فخورةٌ بما يفعله وبما نفعلهُ كلُّنا بقدرات حقيقية. نحن نستطيع أن نساعد الآخرين على أن يتعلّموا أشياء جديدة وأن يفعلوا ما يجب فعلُه. مُعلِّمتنا كانت على حق. في مقدور كلّ واحدٍ أن يفعل شيئاً. علينا فقط أن نمنحه الفرصة.

اسْمعوا عزفَ عليّ. بدأت الموسيقى. سوف أرقص من جديد.

هنا توقّف الرّاوي قليلاً ثم قال: كانت هذه قصّةُ علي.
عليٌ محظوظ. تعلّم الأولادُ في قريته أن يساعدوه. لكن هذا لا يحدث مع كلّ الأولاد.
الحكاية في قرية أمينة كانت مختلفة.

تَعيش أمينةُ في قريةٍ قربَ الغابة. الجوّ لطيفٌ والمكانُ هادئٌ.
هناك تُلاعِبُ الرّياحُ الأعشابَ الطويلة وتهمِسُ الأشجارُ الأسرار بعضها لبعض.
لكنّ أمينة لا تستطيعُ سماعَ هذه الأصوات.
لماذا؟ تعالوا نبحث عنها ونطلب منها أن تخبرنا قصّتها.





قصَةُ أمينة

إسمي أمينة. أريدكم أن تتذكروا ذلك. إنّهُ أمرٌ مهمٌ. إنّه اسمي لكن لا يناديني الجميع باسمي.

يقولون: «البنت» أو «تلك البنت»، أو يدعونني «الطّرشاء».

الأولاد يقولون أنني «نِصف بنت» لأنني لا أستطيع أن أسمع جيداً. يظُنّون أنّني لا أستطيعُ أن أسمعَ إطلاقاً. يصرخون في وجهي حين أمشي في الطَريقِ. هذا يغضبُني. لستُ نصف بنت. أنا أمينة. لكنّني لا أقولُ شيئاً. يظُنّون أنّي لا أستطيع أن أتكلّم لأنّني لا أسمع جيّداً. لكنّني أستطيعُ ذلك. لقد علّمني الشيخُ موسى.



الشيخُ موسى رجلٌ مسنٌّ يعرف كلَّ شيء عن المدينة الكبيرة.
الشيخ موسى رجلٌ حكيم، يعلمُ أشياء كثيرة ويحفظ كلَّ القصص القديمة. يعرفُ عن النّاس. يعرف عنّي. يعرِف كيف أشعُر.
علّمني كيف أتكلّم. هذا سرُّنا.

أتى الشيخ موسى إلى قريتنا عندما كنتُ في الثالثة من العُمر. كانَ آنذاك رَجُلاً مُسنّاً. عاش شبابه في القرية. ثم قصد المدينة الكبيرة. لكنّه حين صار في سنّ الشيخوخة عاد إلى القرية.
أحببتُ الشيخ موسى. كان يكلّمني من دون أن يصرُخ. كان يتكلّم بوضوح، وينظُر إليّ دائما عندما يحدّثني. كُنت أستطيع رؤية شفتيه تتحركان. حاولتُ تحريكَ شفتيَّ. ابتسم. كان يبدو مسروراً. كان يضع أصابعي على شفتيه وعلى حنجرته. هكذا بدأتُ أشعر بالصوت.
كان عند الشيخ موسى مرآة. كنا نجلس أمامها. كان الشيخ يلفظ حرفاً وأنا أضع يدي على حنجرته وأنظر في المرآة إلى حركة لسانه.
صرتُ أحاولُ أن أقلّدَه. بدأتَ الأصواتُ تخرُجُ منّي. كانت أحياناً تخرُج صحيحةً، وأحياناً تُخطئ. كُنتُ أخجل فيهزُّ الشيخ موسى رأسَهُ ويقول: «عظيم. جرّبي مرّة أخرى».



هكذا تعلّمتُ أن أتكلّم. احتجتُ وقتاً طويلاً. الأصواتُ لا تخرجُ دائماً صحيحةً. لهذا السّببِ لا أتكلم أمام النّاس. يضحكون منّي. يهزأ الأولادُ بي. لذا لا أتكلّم، ويظنّون أنني «نصفُ إنسان».

لكنّ هذا ليس صحيحاً.

يظنّ النّاس أنني لا أستطيعُ أن أفعلَ شيئاً. يظنّون أنني لا أستطيع سماعهم حينَ يتحدّثون عنّي.

لكنّني أستطيعُ ذلك. يظنّون أنّني غبيّة. يظنّون أنّني بليدة. يظنّونَ أنّني «نصف إنسان». لكنّني لستُ كذلك.

أستطيعُ القراءة. أستطيعُ العدّ. أعرفُ أشياء كثيرة. وأعرفُ هذه الأمور لأنّ الشيخ موسى علّمني. إنّه يجيب دائماً عن كلّ أسئلتي. الشيخُ موسى رجلٌ حكيم.

في أحد الأيام، حينَ كنتُ في السابعة من العمر، جاء بعضُ الأشخاص إلى القرية. كانوا يريدون بناء مدرسة. سألوا: «ما هو عدد الأولاد في القرية؟». أجاب الجميع: «خمسون».

لم يحسبوني. نسوني. اعتبروني «نصف بنت» لا يحق لها أن تتعلّم.

بكيتُ. أردتُ أن أتعلّم. أخبرتُ الشيخ موسى. قال لي: «لستِ نصفَ بنت. أنا سوف أعلّمُك».

علّمني الشيخ موسى أشياءً كثيرةً. علّمني أين أعثرَ على أفضلِ الأسماك في النّهر. علّمني الأشياء الصالحة للأكل في البرّية، والأشياء غير الصالحة. علّمني كيف أعتني بالطّيور والحيوانات الجريحةِ.

علّمني كيف أحفُر في الخشب. علّمني أسماء كل الأشجار.

والأهمُ من كُلّ ذلك أنّه علّمني القراءة والكتابة.

لكنّ هذا كان قبل خمسِ سنواتٍ.



الشيخُ موسى رَجلٌ كبيرُ السن. فهو لا يستطيعُ الآنَ أن يَمشي مَسافةً طويلةً. لا يستطيعُ الكتابةَ بسرعةٍ كما كان يكتُبُ من قبلُ. حتى إنّه لم يعُدْ يستطيعُ أنْ يرى جيدًا. أستطيعُ أنْ أساعدَ الشيخَ موسى أحيانًا. أجلُبُ لهُ الطعامَ والماء.
ما زلتُ أطرَحُ عليه أسئلةً كثيرةً: «لماذا تملُكُ الأسماكُ حراشفَ؟ كيفَ يستطيعُ الذُبابُ أن يؤذينا؟ ما هي الجراثيمُ؟» وهو يُجيبُني دائمًا.
وكان يقولُ ضاحكًا: «أنا نصفُ إنسانٍ الآنَ». لكنني لا أحبُّ أن أسمعَه يقول هذا. هذا ليس مُضحِكًا.
كان الشيخ موسى يردِّدُ دائمًا: «يجب أن تكوني صبورة. ليس هناك «أنصاف بشر». هناك فقط أشخاصٌ يظنون أنّ الأشخاص الآخرينَ أنصافُ بشرٍ. لكنّ الأولاد يمكنهم أن يغيّروا هذه الأفكار».
لم أكنْ أفهمُ ما يعنيه. كيف يستطيعُ الأولاد تَغييرَ أيِّ شيء؟
أحيانًا أراقبُ الأولاد الآخرين. أراقبُهم يلعبونَ. أستطيع أن أقفزَ واركضَ. لكنّهم لا يطلبون منّي أن العبَ معهم.
أُراقبُهم يراجعون دروسَهم. أستطيع أن أقرأ أيضًا. أستطيعُ أن أعُدّ. أستطيعُ التّهجئة. لكنّهم لا يطلبون منّي أن أساعدَهم.

منذُ أيامٍ رأيتُهم يُحاولون إشعالَ نارٍ. فعلوا ذلك بطريقة خاطئة. سُررت. أخبرتُ الشيخ موسى. ضحكت.

لكنَّ الشيخ موسى لمْ يضحك. قال: «أنتِ الآن تتصرّفين كنصف بنت». غضبت جداً. لقد جرحَ شعوري. لماذا قال لي ذلك؟

شرحَ لي الشيخ موسى: لا يعجبُكِ أن يدعوكِ النّاس «نصف بنت». لستِ «نصفَ بنت». في مقدورِكِ القيام بأشياء كثيرة. يجب أن تعلّميهم. هل تعرفين في الحقيقة من هو «النّصف إنسان»؟

إنّهُ شخصٌ لا يساعد، شخصٌ لا يهتم بالآخرين ولا بحقوقهم. إنّهُ شخصٌ لا يحاول. إنّهُ شخصٌ يبتعدُ عن النّاس».

أمسكَ الشيخ موسى يدي وقال: «ليس الجسدُ ما يجعل الإنسان نِصفَ إنسان، بل تفكيرُهُ وشعورُه».



فكّرتُ بما قالَهُ لي الشيخُ موسى.
في اليوم التّالي رأيتُ الأولاد مَرّةً أُخرى. كانوا يحاوِلون إشعالَ نارٍ. راقبتُهم ثمّ اقتربتُ قليلاً. نظرَ الأولادُ إليّ. خِفتُ. هل سيسخرون منّي؟ هربتُ.
لكنّي سرعانَ ما تذكّرتُ كلامَ الشيخ موسى. يجب ألاّ أختبئ. عُدتُ. كانَ الأولادُ لا يزالون يُحاولونَ إشعال النّارِ. توقّفوا. سألوا: «ماذا تريدين؟».



أخذتُ نفساً عميقاً. كُنتُ خائفة لكنّني نطقتُ.
قُلتُ: «أريدُ أن أساعد».
صمَتوا. تُرى هل كانوا يسخرونَ منّي؟
قالوا: «تستطيعين أن تتكلّمي!». لمْ يضحكوا. كانوا مندهشين.
أشرتُ برأسي إيجاباً. لمْ أتكلّم من جديد. كنتُ خَجِلةً جداً.
ساعدتُ على إشعالِ النّارِ بشكلٍ صحيحٍ. ثُمّ غادرتُ.
صاحَ الأولادُ: «لا تذهبي».



أخبرتُ الشيخ موسى عمّا حدث. فرِحَ كثيراً.
غداً سوف أذهب إلى الأولاد من جديد.
سأخبرهم كلّ شيء عنّي.
سأخبرهم كُلّ ما يقولُهُ لي الشيخ موسى.
أنا خائفةٌ بعض الشيء.
هل سيسخرون منّي إذا تلعثمتُ وأنا أتكلّم؟
الشيخ موسى لا يظُنّ ذلك. يقول إنّهُم سيتعلّمون ألاّ يسخروا.
يقول أنّهُ ينبغي أن أعلّمهم ذلك. أظُنّ أنّ الأمر سيكونُ شاقاً.
علينا ألاّ نكون «أنصافَ أولاد». لا أريدُ أن أكون «نِصفَ بنت».
هل تُريدون أنتم ذلك؟

كانت هذه قصّة أمينة.

هل سيصبح الأولادُ أصدقاء لها؟ هذا ما أظنّه.

لن يتحسّن سمع أمينة كثيراً. لكنها لن تكون وحيدة أو حزينة بعد ذلك.

هناك مكان أخير يجب أن نزوره... جاء دور الحكاية الأخيرة.

اسمعوا.





قصّة بديع

هذا هو بديع. بديع كفيف. هذا يعني أنّه لا يستطيع دائماً أن يفعل ما يفعله الأولاد الآخرون. يَذهب إلى المدرسة مع رفاقه. يلعب معهم. يساعدهم ويساعدونه.

هذه قرية بديع. إنّها مكان جميل. بديع يحبُّها. يحبُّ الأشجارَ والحقول والدّروب الصّغيرة فيها. يعرفها كلّها. يحبّ أن يستمع إلى خرير النّهر. يحبُّ أن يشعر بالشمس فوق وجهه. يحبّ منزله ورفاقه. إنه سعيد.



قدم ولدٌ جديد إلى القرية. جاء ليسكن قرب منزل بديع. كان اسمه آدم. قالت أمُّ بديع «إذهب والْعب مع آدم. إنّه لا يعرف كلّ الأولاد هنا. يجب أن تكون صديقه».

ذهب بديع ثمّ عاد بعد قليل. كانت تعلو رأسه كدمة. وعلى ذراعه خدش. سألته أمّه «ماذا حدث؟».

كان بديع غاضباً جداً. لم يقدر أن يتكلّم. قال أخيراً: «إنّه ذاك الولد. لا يريد اللعبَ معي. لا يريدُ أن يصادقني. قال عنّي أنّي أعمى وغيرُ نافع. دفعني، فضربته».

قالت أمّه: «لكنّ العراكَ لا ينفع. أنت تعرف أنّك لست غبياً. آدم تصرّف بحماقة. سوف يكتشف أنّك لست غبياً. لكنّ العراك لايساعد على ذلك».

أجاب بديع وهو لا يزال غاضباً: «حاولتُ أن أشرح له أنّ هناك أشياء لا أستطيع أن أفعلها لأنّني أعمى. لكن هناك أشياء أقدر عليها. إلاّ أنّه أبى أن يستمع إليّ».

ثمّ ضحك قائلاً: «الآن يعرفُ آدم أمراً واحداً أستطيع أن أفعله جيّداً: العراك».

احتارت أمُّ بديع. لم تكن تحب أن يتعارك ابنُها مع الأولاد الآخرين. لكنّ آدم أخطأ أيضاً. لا يجوز أن يهين ابنَها. لكن ماذا تفعل؟

فكّرت أم بديع: «الحلّ عند أصدقاء بديع. فهُم يعرفون دائماً كيف يتعاملون بعضهم مع بعض. رفاق بديع يساعدونه دائماً. سيجدون طريقةً يشرحون بها لآدم وضع بديع. أنا متأكّدة من ذلك».



كان هذا صحيحاً. عندما فَقد بديع بصره، كان الأولادُ هم الذين أخبروا المرشد الصّحي بالأمر. هم الذين صنعوا العصا لبديع كي يتلمّس بها طريقه، وهم الذين قرأوا له ولعبوا معه، وهم الذين علّموه القراءة والكتابة.

في اليوم التالي ذهب آدم إلى المدرسة باكراً. وذهب بديع أيضاً إلى المدرسة باكراً. رآه آدمُ حاملاً حقيبته وعصاه.



توقّف بديع عند باب غرفة الدّرس ونادى: «هل يوجد أحد هنا؟». آدم لم يرد. كانَ لا يزال غاضباً منَ بديع. تقدّم بديع. كانت حقيبة آدم موضوعةً على الأرض. لم يرَها بديعٌ ولم يتحسّسْها بعصاه. ارتطم بها.

سقطَ بديع أرضاً.

ضحكَ آدم.

هرَعَ الأولادُ إلى الدّاخل.

سألَت هدى: «بديع! ماذا حدث؟».



«لا أعرف»، ردَّ بديع وهو ينهض. «كان هناك شيءٌ ما على الأرض. ناديتُ حين دخلت ولم يردّ أحد».

قالت هُدى بغضبٍ: «لكنّ آدم كان في الغرفة. لماذا لم تساعدهُ يا آدم؟».

ردَّ آدمُ: «لا أريد أن أساعده. إنّه مجرّد ولدٍ أعمى وأحمق. لايحق له أن يكون هنا».

غضبت هُدى فِعلاً وقالت: «بديع صديقنا. لا تتحدّث عنهُ هكذا».

قاطعها آدم قائلاً: «لا اكترث... إنّه أعمى وغبي».

ثمّ دخلت المعلّمة وبدأ الدّرس.

لكنّ هُدى كانت لا تزال غاضبةً. فكّرت: «يجب أن ينتهي هذا كلّه». ثمّ خطرت لها فكرةٌ، أخبرت بها الأولاد الآخرين ووافقوا.

لمْ يكن بديع يعرف أيّ شيء عن الفكرة. آدم أيضاً لم يعرف أي شيء عنها. وكذلك المعلّمة. وحدهم الأولاد كانوا يعرفون.

عندما سأل آدم البنتَ الجالسة أمامه: «هل يمكنك أن تقولي لي كيفَ أعرب هذه الكلمة؟»

أجابتهُ: «اسأل بديعاً»، وأدارت وجهها.

قال آدم للولد الجالس قربهُ: «هل تستطيع أنْ تعطيني بعضَ الأوراق؟»
ردّ: «أطلب من بديع».
«هل تستطيع أنْ تعلّمني كلمات هذا النّشيد؟» سأل آدم. وكان الجواب: «إسأل بديعاً».
غضب آدم وقال لهم: «لستُ بحاجةٍ إليكم. لو احتجتُ إلى أي شيءٍ سأطلبُ من المعلّمة». وهكذا صار. كلّما أراد آدم شيئاً طلبه من المعلّمة. تعجّبت المعلّمة وقالت له: «لماذا لا تطلبُ من رفاقك؟». آدم لم يجد جواباً.
نظرَ الأولادُ بعضُهم إلى بعض وابتسموا.
بعد الدّرس حاولَ آدم مرّةً أخرى. سألَ الأولادَ: «هل أستطيع أنْ ألعبَ معكم؟»
قالوا كلّهم بصوتٍ واحد: «أطلب من بديع».
فصرخَ آدم: «لن أفعل... لا أريد أن أطلبَ من بديع... إنّهُ مجرّد...»، ثمّ توقّف.
فكّر آدم: «بديع لا يبدو عديم الفائدة. الكلّ يحبُّه. إنّهُ ممتازٌ في الحفظ ويعرف كلمات كلّ الأغاني. لكن لا يستطيع أن يقرأ وحده أو يركب الدراجة أو يطاردني. إنّه غيرُ نافع».

رأى آدمُ كلَّ الأولاد ينصرفون برفقة بديع. إلى أين يتوجَّهون؟ لمْ يسأل آدمُ، وعاد إلى البيت وحيداً.

في يوم العطلة كانت المدرسةُ مقفلةً. بقي آدم وحيداً أمام منزله.

أين الأولادُ الآخرون؟ أين بديع؟ لمْ يكن آدم يريدُ أن يسأل. مشى باتّجاه النّهر. كان وحيداً. ثمّ سمعَ صوتاً. سمعَ أصواتاً عند النهر. «من هناك؟» تقدّم آدم بصمت. رأى الأولاد. كانوا يتحلّقون حول بديع الذي كان يحكي لهم قصصاً. اقترب آدم أكثر. لم يرهُ الأولاد. استمع. كان بديع يروي حكايةً بعد أخرى.



كانتِ الحكاياتُ رائعةً. اقترب آدم أكثر فأكثر. وسُرعانَ ما أصبح بينَ الأولاد.

حينَ انتهى بديع تكلّم آدم وسألهُ: «أين تعلّمتَ أن تروي قصصاً كهذه؟»

التفت الجميع ونظروا إلى آدم.

إبتسم بديع وقال: «أهلاً يا آدم».

تردّد آدم ثمّ قال: «آسف. كُنت أحمق». جلسَ إلى جانبِ بديع وقالَ: «هل عندك مزيد من الحكايات؟ هل تعلّمني كيف أروي القصص مثلك؟ وكيف أحفظ الشعر وأغني؟».

قال بديع: «أنا أعتذرُ أيضاً. يجب ألا نتعارك. سوفَ أعلّمك كيف تروي القصص كلنا يجيد أمورًا ويحتاج إلى المساعدة في أمورٍ أخرى. كلنا عندنا الحقوق نفسها، ولكنْ أنا أستطيع أنْ أروي القصص جيدًا وعندما أكبر سأصبحُ حكواتياً.

حينَ كَبُرَ بديع أصبح «حكواتياً» يروي قصصًا كثيرة. ومنها قصص عن أولادٍ يساعد بعضهم بعضاً، كي يُحافظوا على نظافتهم ويكافحوا الأمراضَ ويكونوا سعداء.

الآن يجب أن أبوحَ لكم بسرٍّ. عليَّ أن أقول لكم من أنا. هل حزرتم؟ نعم، أنا بديع. ما زلتُ أروي القصصَ.
أروي قصصاً مثل قصّة عليّ وقصة أمينة وقصتي أنا.
أريدُكم أن تتعلموا كيف تساعدون أشخاصاً مثلَ عليّ وأمينة ومثلي. وأن تتعلّموا منهم. هذا سيجعل منكم أولاداً مميّزين.
وحين تقرأون هذه القصص، أخبروها للآخرين.



أنشطة

ملاحظة: يُنصح أن يعمل الأطفال في مجموعات ليقرّروا معاً ثمّ يخبروا الباقين بما قرّروه.

١. هل تعرف ولداً معوقاً؟ هل يمكن أن تروي قصّته؟

٢. بناء على قصة بديع، كيف يمكنك معه ومع أطفال آخرين عمل شيء يفيد كل الأطفال والأهالي في المجتمع؟

٣. اكتب لائحة بالأعمال التي تستطيع أن تفعلها (الكتابة، تنظيف الأرض، الطبخ، الغناء، إلخ). الآن تخيّل أنك مكفوف أو أصم، ثمّ حاول أن تتصور بعدها: أيّ عملٍ من الأعمال في اللائحة لا يزال في مقدورك القيام به وحدك؟

- أي عمل منها يحتاج إلى مساعدة للقيام به؟
- أي عمل منها لا تستطيع تنفيذه إطلاقاً؟

٤. اكتب تمثيليّة (أو حواراً) من وحي القصص الثلاث في هذا الكتاب.

٥. يمكنك أن تروي القصص الثلاث، ولكن تخيّل أنك شخص آخر، مثل:

- المرشد الصّحي.
- علي أو أي من الأولاد الآخرين.
- بديع أو الشيخ موسى.

٦. كثيرٌ من المسنّين لا يستطيعون أن يروا أو يسمعوا جيّداً.

إطرح على نفسك الأسئلة التالية:

- مَن يهتم بالكبار والصغار المعوّقين؟
- هل يذهب الأولاد المعوقون إلى المدرسة؟
- هل تستطيع أن تفكّر بطرقٍ لمساعدتهم أو مصادقتهم؟
- كيف يستطيعون هم مساعدتك؟

٧. حاول أن تكتب أغنية بعنوان: "أنا أيضاً أستطيع أن أساعد" (بالفصحى أو بالعاميّة)، ثمّ حاول أن تغنّيها مع أصدقائك في المدرسة وفي البيت.

ما هو شعورك؟

هذه الأنشطة يمكن القيام بها جماعياً وفي العراء (في ملعب المدرسة، مثلاً...)

قوموا بها مداورةً:

١. إعصب عينيك بمنديل ودُر مراراً حول نفسك. الآن حاول أن تعبر الملعب وحدك أو بمساعدة رفيق. حاول أن تتعرّف إلى الأشياء المختلفة باللمس.

٢. أغلق أذنيك. أطلب من رفيقك أن يدير وجهه عنك ويتحدث إليك. الآن قل لرفيقك أن يواجهك ويتحدّث إليك ببطء، لكن بوضوح. وأن يستعين بيديه ليوضح لك ما يعنيه.

٣. إربط يدك اليمنى خلف ظهرك وحاول:

- أن تلتقط قلماً، أو بعض الحجارة، أو كتابين ثقيلين، أو كرسياً.
- أن تسرّح شعرك، وأن تربط شريط حذائك، وتلبس جوربيك، وأن تكتب.

٤. إربط يديك الاثنتين وراء ظهرك واكتشف كم من الأعمال هذه ما زلت قادراً على القيام به. حاول أن تسير عبر الملعب مربوط اليدين.

٥. حاول أن تخبر رفيقك شيئاً من دون أن تتكلّم.

تَذكّروا

كلّ الأطفال مُهمّون.

كلّ الأطفال يستطيعون أن يُجيدوا بعض الأشياء،
لكنّهم يحتاجون إلى المساعدة للقيام بأشياء أخرى.

الأطفالُ المعوقون يستطيعون القيام بأمورٍ كثيرة
بمساعدةِ من الأطفال الآخرين.

كلّ الأطفال يستطيعون:

١. أن يساعد بعضهم بعضاً.

٢. أن يُحاربوا الأفكار السيّئة.

٣. أن يتعلّم بعضُهم من بعض.

٤. أن يكونوا أصدقاء.

٥. أن يُسعِدَ بعضهم بعضاً.

قصة ٣ أطفال معوقين وأصدقاؤهم الذين يتساعدون على التعلّم واللعب

* يحكي هذا الكتاب ٣ قصص عن ٣ أطفال: علي وأمينة وبديع الذين يجمع بينهم أمرٌ مشترك: الافتقاد الى قدرة وامتلاك قدرات. عليٌ يجد صعوبة في الحركة، وأمينة تسمع بصعوبة وبديع لا يبصر. لكن الأصدقاء يساعدونهم على اكتشاف قدراتهم الأخرى ليشاركوا في اللعب والتعلّم والعمل.

* تمّ تطوير سلسلة قصص "من طفل إلى طفل" من أجل تشجيع الأطفال على الاهتمام بصحة إخوتهم وأخواتهم. وضع أساس كل قصة من القصص تربوي مجرّب وراجعها فريق من المختصين. أما في العربية فقد جرى اقتباس القصص الأصلية وراجعها عاملون في شؤون الأطفال وأعادوا صوغها ورسمها لكي تتلاءم والظروف والحاجات المحلية، مع المحافظة على محتوياتها ودروسها الصحية والعلمية.

* يمكن استخدام هذه القصص في برامج العمل اللاصفية مع الأطفال، وأنشطة حقوق الطفل وفي المناهج المدرسية.

صدر في هذه السلسلة حتى الآن:

١. **«مغامرات موسى في النهر»:** قصة عن مخاطر الماء القذر
٢. **«اخي الصغير يمشي»:** الطفل يعلم أخيه واحدهما يساهم في نمو الآخر وتطوره
٣. **«الشجعان الثلاثة»:** ٣ أطفال معوقين وأصدقاؤهم الذين يتساعدون على التعلّم واللعب
٤. **«هزيمة العصابة»:** قصة الأمراض الستة الفتاكة وفوائد التطعيم والتحصين
٥. **«المرشدة نور»:** قصة عن مخاطر الالتهاب الرئوي والحمى
٦. **«شراب الحياة»:** قصة عن دور «الشراب البسيط» في إبعاد خطر الجفاف والموت
٧. **«حارس المرمى»:** قصة عن أهمية التغذية السليمة في النمو والتطور
٨. **«الغيلان الخمسة»:** الأطفال يحاربون بفطنتهم ونظافتهم

Child-to-Child Readers: *I can do it too*

ورشة الموارد العربية (للرعاية الصحية وتنمية المجتمع) ◆ بيسان للنشر والتوزيع